

الدرس الثالث والستون: الرد على شبهة أن الإسلام هو دين الإرهاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتني في الله، إن تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، فلم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام، يقول توماس آرنولد: “لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي”.

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صورا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك. وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون ♦ في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابة ♦ في معاملة غير المسلمين.

1 - جاء في الموسوعة في سماحة الإسلام أنه في خلافة أبي بكر الصديق ☺ كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق - وكانوا من النصارى -: “ وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته أفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله “

2 - وكان أبو بكر ☺ يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: “ وستمرون

على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم“ (44).

3 - وأوصى عمر ☺ الخليفة من بعده فقال: وَأَوْصِيَهُ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ (1).

4 - ومن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر ☺ أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه وتوضأ من جرة نصرانية. وصنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها وقال لعلي رضي الله عنه: اذهب بالناس فذهب علي رضي الله عنه بالمسلمين فدخلوا فأكلوا وجعل علي رضي الله عنه ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل (8).

5 - ومن السماحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه (المقلسون) وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم بالسيوف والريحان، فقال عمر رضي الله عنه: مه ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها سرّوا أن في نفسك نقضا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة (10).

6 - وصلى سلمان وأبو الدرداء في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء رضي الله عنه: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما، فقال له سلمان ☺ : خذها من غير فقيه (8).

7 - وجاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرا عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره ولم يبعث له شيئا لبيت مال المسلمين، فقال

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 3497.

عمر لكتابه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. فأخذ عمير - لما وصله كتاب عمر - جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته - أي عصاه - ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة فقدم وقد شحبت لونه واغبر وجهه فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال. قال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي أكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، ومعني عنزتي - أي عصاتي - أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. وسأله عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره، فحمد فعله فيهم ثم قال: جددوا لعمير عهداً.

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزأك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلقت معك (37).

ولقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزأك الله، وهو دعاء، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة، ولا عجب فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره، ممن لا يؤذون الناس بل يغمرونهم بعطفهم ورحمتهم وسماحتهم وإحسانهم، ولذا قال عنه عمر: وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (37).

8 - وعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو ؓ وغلماه يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجاننا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصي

بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه (1).

9 - وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه (6).

10 - وهذه شهادة من نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة 13 هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقولون: " يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا " (43).

واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام (30).

11 - وهذه كلمة بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث أمام الرئيس محمد أنور السادات : أريد أن أذكر أن الإسلام في جوهره وروحه وفي أساسه يعامل غير المسلمين معاملة طيبة، نذكر من هذا الميثاق الذي أعطي لنصارى نجران،.. والوصية التي قدمها الخليفة الإمام عمر بن الخطاب قبل موته،.. والميثاق الذي أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق، والميثاق الذي أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر وأذكر أيضا العبارة الإسلامية الجميلة استوصوا بالقبط خيرا فإن لنا فيهم نسا ورحما، وأذكر الحديث الشريف من آذى ذميا فليس منا، العهد لكم ولأبنائكم عهداً أبدياً لا ينفذ يتولاه ولي الأمر ويرعاه. وأذكر أيضا سماحة الإسلام ذلك الشرع الجميل الذي يقول: وإن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون، وهكذا أعطى الإسلام حرية الدين لغير المسلمين. أذكر أيضا في سماحة الإسلام في عهوده وموآثيقه للمسيحيين في كنائسهم وصوامعهم.. وأملآكهم وأرواحهم وكل شيء، أذكر أن عمرو بن العاص عندما أتى مصر كان بطريرك مصر البابا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثون معزولاً منفيًا، وكان مختلفا مع إخوانه المسيحيين المختلفين

(1) (صحيح) أخرجه (خد) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد 128/95.

عنه في الإيمان ثلاثة عشر عاما لم يجلس على كرسيه، فلما أتى عمرو بن العاص أمنه على نفسه وعلى كنائسه، والكنائس التي أخذها منه الروم أرجعها إليه، بل ساعده أيضا في بناء كنيسة في الإسكندرية.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *